الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

وصف الطبيعة في شعر محمد السنوسي المنذوي دراسة فنية

د. بشير لون

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كنو-نيجيريا

blawan.ara@buk.edu.ng

+234-7083575953

الشاعر ابن بيئته، يعيش فيها ويحتك بها فيتأثر بها وتؤثر فيه. وقد اعتاد الشعراء -منذ العصر الجاهلي- يصفون الطبيعة بنوعيها؛ الصامتة والصائتة في أشعارهم: فوصفوا الأطلال، والصحراء وما يتصل بها، والأنهار، والنبات، والجبال، والمطر والأشجار، والخمر. كما وصفوا المرأة، والناقة، والحصان، والطير، والحيوان. مظهرين عواطفهم تجاهها؛ من فرح، وألم وحزن. وقلما يخصصون لها موضوعا، بل يدمجون ذلك في أغراض مختلفة وأكثر ما يعكس ذلك في الغزل، والرثاء، والمدح، وغير ذلك من الأغراض. فمحمد السنوسي المنذوي من الشعراء النيجيرين المعاصرين الذين وصفوا الطبيعة في أشعارهم. فهذا المقال يهدف إلى إلقاء الضوء على وصفه للطبيعة من خلال شعره، كما يهدف إلى اكتشاف ورصد مظاهر الطبيعة المبثوثة في شعره مع الوقوف على الصور الفنية والآليات التي اتكأ عليها في إبرازه لها، وتتمثل إشكالية البحث في أن أشعار المنذوي درست من نواح عدة وفي مستويات مختلفة إلا أن هذا الجانب مع إبداع الشاعر فيه لم يتطرق إليه أحد، فاختاره الباحث ليشارك به في هذا المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية، المنعقد في دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة (2025). وسيتكون المقال من مقدمة وأربعة مباحث ثم الخاتمة. فالمقدمة تتناول لمحة عن وصف الطبيعة في الشعر العربي عبر العصور. المبحث الأول: نبذة عن الشاعر وشعره. المبحث الثاني: وصف الطبيعة الصامتة في شعره. المبحث الثالث: وصف الطبيعة الصائتة في شعره. المبحث الرابع التقييم الفني. الخاتمة، وهي عبارة عن ملخص البحث ونتائجه. وسينتهج الباحث المنهج الوصفي لمعالجة الموضوع.

المقدمة:

وصف الطبيعة من الموضوعات الشعرية التي عالجها الشعراء عبر العصور الأدبية؛ بدء بالعصر الجاهلي ومرورا بالعصر الأموي وعصر بني العباس - إذ ظهر فيه شعراء كان وصف الطبيعة من أغراضهم البارزة، أمثال أبي تمام، وابن الرومي وغيرهما- إلى العصر الحديث، إلا أن الشعراء كثيرا ما لا يفردون للوصف قصيدة بل يأتي مبثوثا في قصائدهم؛ أي في أغراض مختلفة من مدح وغزل ورثاء وغيرها من الأغراض، فوصفوا الأطلال والصحراء ورمالها ونباتها والجبال والمياه والحيوان من ناقة وحصان، كما وصفوا المرأة وغير ذلك من عناصر الطبيعة التي صبوا فيها عواطفهم من فرح وحزن وألم تجاهها. "والتفاعل بين الإنسان وبيئته الطبيعية لم يكن مجرد صور ومشاهد خارجية في النصوص الأدبية، بل كان يمثل في الغالب جزءا أساسيا من البناء الشعوري والفكري للأدب العربي".[1] ولعل هذا الغرض الشعري كان أوفر حظا في شعر شعراء الأندلس، تلك البقعة الخضراء الجميلة، المحاطة بالبحار من ثلاث جهات، فكل ما فيها يثير قرائح الشعر لوصفه، حيث حباها الله ببيئة فاتنة خلابة، فيها الماء، والأشجار، والأزهار، والحيوان، والطير وغير ذلك، ما وفر للشعراء مادة خصبة، تحفزهم على النظم والوصف، فظهرت قصائد ودواوين كاملة في وصفها، كوصف النوريات (الزهريات)، والروضيات، والمائيات وغيرها. ولعل أبرز الشعراء الذين عنوا بالطبيعة ووصفها ابن هانيء الأندلسي (ت263ه/ 273م،) وابن زيدون (ت362ه/ 0171م،) وابن حمديس (ت737ه/ 0023م،) وابن خفاجة (ت722ه/ 0021م) وغيرهم.[2]

ويعد الشعر العربي في إفريقيا، وبالأخص في نيجيريا، ظاهرة أدبية فريدة تعكس التفاعل بين التراث العربي الإسلامي والبيئات الإفريقية المتنوعة، حيث تأثر الشعر العربي النيجيري بها، فأصبحت السافانا؛ الأنهار مثل: نهر النيجر، والغابات، عناصر مركزية في الشعر. كما يعكس وصف الطبيعة في الأدب النيجيري التفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية والتقاليد المحلية. ويعتبر محمد سنوسي المنذوي أحد من الشعراء النيجيريين الذين استطاعوا توظيف اللغة العربية الفصحى لتصوير الطبيعة بأسلوب يمزج بين الخصوصية المحلية والرؤية الإسلامية الكونية حيث تتجلى في شعره قدرة استثنائية على استخدام عناصر الطبيعة، مثل

---

[1] -كلمة كلية الآداب، جامعة جرش في مقدمة كتاب المؤتمر النقدي السابع والعشرون، بعنوان: **الطبيعة والإنسان في الأدب**، 13-15/4/2025م، ص:11

[2] -عمر فارس الكفاوين (الدكتور) "وصف الطبيعة في شعر ابن اللبانة الداني الأندلسي، دراسة موضوعية فنية"، **مجلة الجامعة الإسلامية للدراسة الإنسانية**، المجلد 29، العدد 3، ص:237

الجبال، والأنهار، والنباتات، والطيور، للتعبير عن الهوية الثقافية والوجدانية، مما يجعل شعره نموذجًا لدور اللغة العربية في تعزيز الانتماء في سياق إفريقي في قصيدته المعنونة بـ "جغرافية مَوبيلا تَرَابَ"، التي وصف فيها الطبيعة النيجيرية بصور شعرية غنية، وسيتضح ذلك من خلال الأبيات المدروسة.

ويتحدد الباحث بدراسة قصيدة "جغرافية موبيلا تراب" دراسة فنية لما تحتوي عليه من مظاهر الطبيعة، مع التركيز على كيفية توظيف الشاعر لعناصرها للتعبير عن الهوية النيجيرية والعربية الإسلامية، ودور ذلك في تعزيز مكانة اللغة العربية وإظهار أنها ليست في أزمة، بل هي وسيلة حيوية للتعبير عن الهوية ومواجهة التحديات الثقافية والاجتماعية.

المبحث الأول: نبذة عن الشاعر وشعره:

مولده ونشأته:

هو محمد السنوسي بن الماهر الشيخ محمود بن محمد بن عمر، الملقب بـ مَنذُو[3]. ولد في حارة أَرْزَيْ بمدينة كنو في شهر ديسمبر سنة 1962م أواخر أيام إمارة أمير كنو محمد السنوسي بن عبد الله بايرو، وسمي بهذا الاسم للعلاقة الوطيدة التي كانت بين والده وبين الأمير[4].

أما والدته فهي المرحومة السيدة حفصة بنت مَمَّدً (Mammadu) وحفيدة غُونِي[5] دُبْثِيَ القندغي البرناوي.
نشأ محمد سنوسي المنذوي في مدينة كنو، الواقعة في شمالي نيجيريا، وهي منطقة غنية بالتراث الإسلامي بفضل إمارات سوكوتو ووفودالعلماء والتجار العرب إليها منذ عهد مبكر مما جعل الثقافة العربية راسخة في المنطقة[6].

حياته العلمية:

تلقى المنذوي تعليمه في المدارس القرآنية، ثم طاف في أجواء مدينة كنو وخارجها طلبا للعلم؛ بدء من مدرسة والده: "معهد الشيخ منذ أرزي". ثم أخذ يمارس الدراسة النظامية؛ فالتحق بمدرسة نور الهدى الإسلامية الابتدائية بحارة جَاكَرَ. وفي سنة 1980م التحق بمدرسة الدروس الإسلامية شاهوث (Shahuci)

---

[3] - منذو كلمة هوسية، وبالعربية تعني: الرسول، يكنى بها من كان سمي النبي صلى الله عليه وسلم

[4] - عزيزة جميل طنلاد، **"دلالات الأسماء المشتقة في قصيدة "الرحلة الكوسية"** لمحمد السنوسي المنذوي، رسالة الماجستير، مقدمة إلى قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو-نيجيريا، سنة 2024م، ص: 10

[5] - غوني، تعني بالعربية : الماهر

[6] - ينظر: آدم عبد الله الإلوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، مكتبة وهبة، ط:1، 2012، ص:42

تعلم فيها لمدة أربع سنوات، ونال بها الشهادة الثانوية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية. وفي سنة 1985م التحق بجامعة بايرو كنو، إلا أنه لم يكمل دراسته فيها لظروف قاهرة. فانتقل إلى الجامعة الإسلامية بجمهورية نيجر وحصل على شهادة الباكلوريس في اللغة العربية وآدابها[7]

وبجانب الدراسة التقليدية تعلم المنذوي عند بعض علماء عصره داخل نيجيريا وخارجها، ومن بينهم الشيخ مختار بن سعاد يَنْ تَنْدُ الذي تعلم منه النحو العربي والفقه وطرفا من الأحاديث النبوية، وأخوه الكبير الشيخ محمد المختار الذي أخذ عنه علوم القرآن، والشيخ عبد الحميد يَالُو الذي قرأ عنده كتاب "إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك" لشهاب الدين الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عسكر المالكي البغدادي، وكتاب "مختصر خليل". كما تعلم منه شيئا من علم التجويد واللغة العربية, والشيخ زكريا سَلْغَ الذي تعلم منه علم الفقه، و"ألفية ابن مالك"، و"عقود جمان في المعاني والبيان والبديع" للشيخ عبد الرحمن السيوطي[8].

وأما علماؤه خارج نيجيريا فمنهم الشيخ عبد الرزاق بن أحمد ملمي الكوسي[9] أخذ عنه كتاب" كنز الأولياء"، وكتاب "الجوهر الفرد" للشيخ إبراهيم الكولخي. ثم ارتحل إلى جمهورية تشاد وتعلم النحو عند الدكتور إبراهيم أبو الأمل في الله التشادي. ثم لقي بالشيخ محمد بخيت السوداني وأخذ عنه علم الجغرافية، كما أخذ عن الشيخ عبد الرحمن الناجي السوداني تفسير القرآن الكريم كاملا، ورواية الدوري عن أبي عمرو بن العلاء البصري أثناء دراسته في الجامعة الإسلامية بنيجر. وكما أخذ عن الدكتور محمد المختار رئيس كلية الدعوة الإسلامية ليبيا علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة أثناء رحلته إلى ليبيا.

هذا ما أكسب المنذوي إتقانًا للغة العربية ومعرفة بالشعر العربي الكلاسيكي، والتأثر بالتقليد الصوفي والأدب الإسلامي، وانعكس ذلك في شعره الذي يمزج بين الهوية الإسلامية والبيئة المحلية.

شاعريته:

بدأت ينابيع الشعر تنبثق من قريحة المنذوي في سن مبكر، وهي فترة أيام طلبه للعلم في المرحلة الثانوية، وخاض أغراضا شعرية مختلفة من المديح النبوي، ومدح الشيوخ، والرثاء، كما قرض قصائد في مناسبات

[7] - مقابلة شفوية مع الشاعر بتاريخ 25/3/2025

[8] - المقابلة الشفوية السابقة

[9] - كوس، قرية في جمهورية نيجر

مختلفة. والمنذوي رجل رحالة، وكان لرحلته أثر في ظهور فن الوصف في شعره وعنايته به، وقصيدته "جغرافية موبيلا تراب" خير مثال على ذلك.

مكانته في الأدب العربي النيجيري:

يُعد المنذوي جزءًا من تيار الأدب العربي النيجيري الذي ازدهر في القرن العشرين، متأثرًا بالشعر العربي الكلاسيكي، ويتميز شعره بالمزج بين الأسلوب العربي التقليدي والموضوعات المحلية، كما سيظهر في القصيدة المدروسة.

جو القصيدة

عنوان القصيدة: "جغرافية موبيلا تراب"

مناسبة القصيدة: قالها الشاعر لما زار الموبيلا ورآى أشياء مذعورة في حالة الركوب إليه وكذلك في حالة الهبوط منه.[10] وذلك بتاريخ:13/5/1430ه الموافق 7/5/2009م

والقصيدة على وزن البسيط: مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن.

تقع القصيدة من ستة وسبعين بيتا. افتتحها الشاعر بالحمدلة والصلاة على النبي وذكر عجائب مخلوقات الله، ليكون ذلك نقطة انطلاق ومؤشرا صادقا له إلى الحديث عن الطبيعة وعناصرها، مؤطرا قصيدته بإطار ديني. وذلك في الأبيات التالية:

الحمد لله رب العرش ذي القدر	في خلق ما شاء في بحر وفي بر
صلى الإله على المنجي من الغرر	محمد ذي عطايا الخير في الحشر
خلق السماء طباقا ذات أبرجها	والأرض شقت فجاج الدرج منحدر[11]

وبعد هذا الاستهلال الذي مزج بين الطبيعة والهوية الإسلامية، تخلص إلى سرد متسلسل لعناصر الطبيعة، وصاغها بأسلوب فني، بدأ بذكر القارات السبع ومناخاتها، وفصول السنة الأربعة:

---

[10] - ذكر الشاعر هذه المناسبة في مقدمة القصيدة، ص:2

[11] -محمد السنوسي المنذزوي، جغرافية موبيلا تراب، البيت 1-3

وشقها سبعا هي آسيا الوسطى وآسيا الأقصى وأوروبا في الأمر
أميركين فأولها الهنود بها واللاتنية فيها الثلج من قرر
وأستراليا تمت ثم مقطعنا إفريقيا من نواحيها بها دوري
بحورها سبعة هادي وهنديه ثم الخليج وأحمر أبيض البحر
وميت وفرات ثم أطلسنا وهو المحيط إلى نيجيريا يجري
جعل المناخ فصولا في تجدده إما الشتاء وإما الصيف ذو الحر
ثم الربيع يلي والبرد رابعها وهي الفصول إلى اثني عشرة الشهر
جعل الإله الرواسي أن تميد بنا منها الشوامخ منها خاشع الحدر
نوع يفجر ماء باردا عذبا وآخر الملح ثم المعدن التبر
أما التي يأتيها البركان قد وقعت في غير نيجيريا، فالحمد للمجري
خلق الرواسي العوالي إن أطولها هملاي في سرلنكا سندريب حر
في آسيا القصوى والتابعات لها كلمنجرا فكتوري أفركا الوعر[12]

وهكذا إلى أن ختم القصيدة بالدعاء لنفسه ولوطنه طالبا الخير من عند الله تعالى، ثم حمد الله وصلى على رسوله:

يا رب حقق لنا الخيرات أجمعها تعم نيجيريا ومواطن البشر
إني سنوسي الذي نظم القصيدة من إذن لمولاي شيخي والشريف عمري
الحمد لله في بدإ وفي ختم ثم الصلاة على خير الورى البشري[13]

المبحث الثاني: وصف الطبيعة الصامتة في القصيدة:

يقصد بالطبيعة الصامتة: "الأرض ومشتملاتها، من بحار، وأنهار، وأودية، ورياض وحقول، وما يرتفع في سمائها من أفلاك، ونجوم، وكواكب، وشمس وقمر، وما ينتج عن علاقاتها بالشمس والقمر من خسوف، وكسوف، وضياء، وإشراق، وليل، ونهار، وفجر، وحّر، وبرد، وسحاب، ورعد، وبرق، ومطر، وعواصف ورياح، وما يزينها، ويمد أهلها بالغذاء من أشجار، وأعشاب، وأزهار[14] استلهم المنذوي الطبيعة النيجيرية وعبر عنها بصور شعرية غنية، كما في قوله:

---

[12] - المنذوي، المصدر نفسه، البيت 4-14

[13] - المصدر نفسه، البيت 73-76

[s14] - راجع جودت الركابي، **الطبيعة في الشعر الأندلسي**. ط/1، 1972م دمشق: مطبعة الترقي، دمشق، ص:12-13

نيجيريا أرض خصب أرض معدنها فيها جميع نواحي الرزق والمطر
في غربها، وجنوبا[15] دام مرتعها وفي الشمال جفاف مثل ميدغري[16]

هذا الوصف يعكس فخرًا بالبيئة المحلية، كما يبرز تناقضات البيئة بين الجفاف والخصب، مما يعكس تحديات المجتمع النيجيري وأمله. وفي البيتين ركز المنذوي على الطبيعة للتعبير عن الهوية المحلية، مما يجعل شعره أكثر ارتباطًا بالواقع الاجتماعي.

ويعكس وصف الطبيعة في شعر المنذوي التفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية والتقاليد المحلية. وعلى سبيل المثال، وصفه الماء في غاية الصفاء والعذوبة بقوله:

منها المياه كأن الكوثرى نبعت زلالة سلسا تسيل في نهر[17]

هنا، اتكأ الشاعر على تشبيه قرآنيً "الكوثر" لتصوير نقاء المياه، فتشبيه المياه بالكوثر يضيف بعدا روحانيا، بينما تعكس الألفاظ مثل"زلالة" و"سلسا" نقاء المياه وحركتها مما يعكس تأثر الشاعر بالتراث الإسلامي مع التعبير عن البيئة المحلية. وهذا المزج يبرز خصوصية الأدب العربي النيجيري. كما أن المزج بين الطبيعة والهوية الإسلامية يبرز قدرة اللغة العربية على استيعاب تجارب متنوعة.

ويركز المنذوي على الطبيعة كتعبير عن الهوية المحلية، على سبيل المثال قوله:

جبل حباه لنا رب البرية في نيجيريا يا لها من نعمة الفخر
سموه موبيلا باسم القوم قاطنه فيه الدواجن من بقر ومن ثمر[18]

هذا الوصف يعكس ارتباطًا مباشرًا بالهوية المحلية "باسم القوم قاطنه" والرؤية الإسلامية "حباه لنا رب البرية" مما يعزز فكرة أن الطبيعة في الأدب النيجيري تحمل دلالات ثقافية واجتماعية مما يظهر أن اللغة العربية، من خلال وصف الطبيعة، قادرة على استيعاب بيئات متنوعة، مما يدحض فكرة أزمة اللغة.

---

[15] - هكذا وردت الكلمة منصوبة، ويرى الباحث أن الصواب أن تكون إما مجرورة معطوفة على ما قبلها وإما مرفوعة على الاستئناف

[16] - المنذوي، المصدر السابق، البيت 16-17

[17] - المصدر نفسه، البيت36

[18] - المصدر نفسه، البيت 20-21

قال الشاعر:

قم من كنو وإلى غمبي إلى يولا منها إلى جالغو، مارا إلى السفر
حتى "متم بيو" ثم "الشدي" ثم "بلى" منها إلى باروا، محطة الخطر[19]

في البيتين السابقين ذكر الشاعر مواضع مختلفة: "كنو" وغمبي" ويولا" ... وبارو" كمراحل قطعها في سفره، ووصف الأخير بأنه محطة الخطر كتمهيد لما عاينه من الخطوب وما قاساه من الشدائد.

ثم رسم الشاعر لوحة فنية رائعة شاركت عناصر الطبيعة المختلفة في رسمها وبث الحياة والحركة فيها. وكان هدف الشاعر في ذلك تجسيد تلك الظواهر وإبرازها ليحس المتلقي بعد تذوقها أنه يعيش معه أمام صور الطبيعة المخيفة:

ترى الخطوب بعين إذ بدت لك أسـ ـنام غرابيب سود منتهى البصر
تدنو إليك بأنياب مفتحة أبوابها تبلع المدني الذي يسري
وطولها حسبما وصلت روايته خمس ثلاثون ألفا قدم معتبر
طرقها تلتوي مثل الأفاعي مشت شفيرها زلق جرفت بمنحدر
كلكالها كامن في ظلمة الشجر يهوي إلى هوة في قوة القعر
إن غاضب فلجت أنيابها فلجا تنهار من جرف هاو إلى قبر
كفاك ربك اللهو إذ تعرج على صفائح فوق الموبيلا خطر[20]

في الأبيات السابقة يعدد الشاعر المخاطر التي تواجه المسافر، فبدأ بوصف الطريق الموصل إلى موبيلا بأنه مكان مظلم مخيف وصعب السلوك لضيقه والتوائه ومنحدراته والهوة العميقة فيه، مما يؤدي إلى كثرة الانزلاق. ووصف الطريق في الضيق والإعوجاج بالأفعى في الإلتواء عن طريق التشبيه ليجسد هذه الصورة المخيفة "طرقها تلتوي مثل الأفاعي... كلكالها كامن في ظلمة الشجر" وكل ذلك يشير إلى الخطر والتعقيد. ثم ذكر الشاعر الحماية والرعاية الإلهية للمسافر التي تحميه من الزلق.

ومن وصف الشاعر للطبيعة الصامتة في القصيدة أيضا:

[19] - المصدر نفسه، البيت 22-23

[20] - المصدر نفسه، البيت 24-31

منها السحائب من بين البيوت سرت وحينما مطرت تعلو بلا ضرر
منها البرودة في كل الفصول لها لا بد من كسوة غلظاء من قر
منها النباتات لا تسأل عن العدد في كل نوع تسر الناظري خضر[21]

في الأبيات السابقة يبرز الشاعر عناصر الطبيعة المختلفة وتأثيرها في البيئة ليشير على الحركة والانتقال فلجأ إلى وصف مرور السحاب، والبرودة في الفصول المختلفة، وصنوف من النباتات الجميلة التي تنمو وتزدهر في المكان الموصوف، وكل هذا يشير إلى جمال الطبيعة وروعتها. كما أن هذا الوصف يبرز التنوع البيئي باستخدام ألفاظ حسية، مثل: "خضر" "تسر الناظري".
ومن خلال الأبيات يظهر أن الشاعر مبدع حيث استطاع أن يمزج بين عناصر الطبيعة الخلابة مع البحث عن جزئياتها ليبعث الحياة والحركة فيها.

قال الشاعر:

نبئت أن جبال الموبيلا حويت من كل معدن خير الأرض من تبر
فيها النحاس وفيها الذهب والأسمنت والغاز والبترول والزجاج جحر
وغيرها يعلم الله الذين بمن هم يخرجوا رزقها من مخبئ الحفر
نبئت أن بها نهر المياه لها من كل كهربة الإفريق تبعثر[22]

في الأبيات السابقة ركز المنذوي على الطبيعة كرمز للثروة المحلية المخفية، وهذه الصورة ربطت الطبيعة بالثروة الكامنة المتمثلة في الذهب، والنحاس، والأسمنت، والغاز، والبترول والزجاج وغيرها مما يعبر عن الأمل.

المبحث الثالث: وصف الطبيعة الصائتة

الطبيعة الصائتة هي تلك التي توصف بحركة أو صوت، مثل الطيور المغردة، والأنهار الجارية، والرياح التي تهب، والحيوان والدواجن وغير ذلك من الطبيعة الصائتة. وبعبارة أخرى هي الحي مما عدا الإنسان.[23] وقد استلهم الشاعر هذا النوع من الطبيعة وعبر به عن مشاعره، من ذلك:

---

[21] - المصدر نفسه، البيت 34-37

[22] - المصدر نفسه، البيت 69-72

[23] - السيد نوفل، **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، القاهرة، 1945م، ص:11

منها الطيور بألوان مشكلة تطير من فوق أشجار إلى الثمر
إن الدواب كأبقار مواشيها كأنها الفيل أو فهد من الكبر
وربما أحد منهم تكون له ألفا وهذا الصغير عند ذي يسري
وربما عشرة آلاف مبلغما كان الوسيط له سبحان ذي القدر
أما البنات فلولا في الجنان فما أحد يوصفهن في الجمال دري
كواعب أتراب ليتها يلوي يعلوه من فوقه شعر متى تسري
كأنهن الصفا ياقوتة سحبت من صدفها عينها عين من البدر[24]

وصف البيئة بأنها ذات أشجار وطيور مشكلة الألوان، يوحي إلى منظر جميل؛ لأن كثرة الأشجار تحجب شعاع الشمس وتسمح للنسيم بالمرور. وتصوير الطيور وهي تطير إلى الثمرطربا لما حل بالكون من خضرة وبهاء يعكس الحرية والتفاؤل. ثم الإشارة إلى كثرة الدواب واختلاف أعدادها حيث يملك بعض الناس الكثير، والبعض عدد وسط، مع وصف كبر حجم البقر عن طريق التشبيه "كأنها الفيل أو فهد"، يعبر عن تنوع الحياة في البيئة المذكورة، وكذلك وصف جمال الفتيات الناهدات المستويات في السن اللائي يكمن جمالهن في عيونهن وشعرهن الذي يتلألأ حين يلتوي ليتهن، ووصف روعة حركتهن في حرية وجمال، كل ذلك عن طريق التشبيه: "عينها عين من البدر" "كأنهن الصفا ياقوتة" "كواعب أتراب". ثم الإشادة بعظمة الخالق وقدرته في خلق الجمال "سبحان ذي القدر". كل هذا يدل على وقفة تأمل وقفها الشاعر مع عناصر الطبيعة يبادلها مشاعره وأحاسيسه. ومن طرف آخر إلتفات لأنظار المتلقين وتوجيه عقولهم إلى التفكر في خلق الله الذي خلق الجمال. وقد قيل "مظاهر الطبيعة المختلفة كالطيور، والأشجار، والسحب، والمطر، والنباتات، والثمار كانت بمثابة رموز حية تنبض بالحياة والمشاعر المتوهجة".[25]

المبحث الرابع التقييم الفني:

بناء القصيدة:

القصيدة كانت عمودية حيث تتبعت بنية شعرية محكمة عن طريق استخدام الوزن والقافية مما أضفى إليها جمالا وتناسقا. ومن حيث البناء احتوت القصيدة على الإشادة بالخالق، مما أضفى إليها بعدا روحيا في تقدير الشاعر لعظمة الخالق. ثم ركزت على مظاهر الطبيعة الصامتة والصائتة بجمالها، فوصفت الأشجار

[24] - المنذوي، المصدر السابق، البيت 38-44

[25] - **الطبيعة والإنسان في الأدب**، مرجع سابق، ص:11

والطيور والمياه والنباتات، وهذا التركيز يخلق جوا من السكينة والهدوء، كما أن وصف الطبيعة في القصيدة يظهر عظمة الخالق وقدرته على خلق الجمال.

الفكرة:

من المعلوم أن الفكرة ركن أساسي في الشعر العربي لأن الشاعر لا يقول الشعر مجردا عن فكرة أراد إيصالها إلى المتلقى، وبها تتم المشاركة في الذوق بين الأديب والقارئ أو المتلقي، ولذلك يقول أحد الأدباء " الفكرة ضرورة للأدب فالأدباء ليسوا بلابل يغنون الشعر بدون أفكار، بل هم دائما يتكلمون بمعان ومفاهيم وهذا ما يفرق بين الأدب والموسيقى، فهي تؤثر فينا مباشرة فلا نحتاج إلى فهمها، أما الأديب فلا بد من عرض أفكار نفهم، لأنه يحدثنا ويكلمنا فلا يتكلم بكلام لا يفهم بل دائما يصلنا بكلامه بأفكاره وآرائه المختلفة."[26]

وبشكل عام، تقدم القصيدة وصفا جميلا للطبيعة والجمال مع التركيز على الإشادة بعظمة الخالق، كما تتمتع باللغة الشعرية الغنية والأساليب البيانية.

وعليه، فالفكرة الرئيسة التي ركز عليها المنذوي في هذه القصيدة هي وصف مظاهر الطبيعة ولم تخرج القصيدة عن هذا الإطار، وقد عبر الشاعر عنها بألفاظ جزلة، وتراكيب متينة، وعبارات واضحة، وأساليب سهلة، مما جعل القصيدة سهلة التناول والإدراك وممتعة لدى المتلقي. كما أظهرت مهارات الشاعر في استخدام اللغة الشعرية.

اللغة والأسلوب:

اللغة هي الأداة التي يستخدمها الشاعر لنقل أفكاره ومشاعره، بينما الأسلوب هو الطريقة التي يعبر بها الشاعر عن الأفكار والمشاعر. فالتفاعل بين اللغة والأسلوب يظهر في كيفية اختيار الشاعر للكلمات والعبارات والتراكيب النحوية التي تعكس أسلوبه الخاص وتوصل رسالته بشكل فعال. ولذا ثبت عند النقاد أن الأسلوب هو الإنسان والإنسان هو الأسلوب. والأسلوب هو الذي يعطى الشعر مظهرا جميلا وهو طريقة يستخدمها الشاعر للتعبير عن الأفكار والعواطف والصور. ومن صفات الأسلوب الجيد:" الصفاء والدقة والوضوح والسلاسة والتناغم."[27] وعليه، استخدم الشاعر لغة شعرية غنية لوصف الطبيعة كما اتضح في النص، مما يشهد على مهارة الشاعر في استخدام اللغة العربية.

---

[26] ــ شوقي ضيف، **في الأدب والنقد** ، القاهرة بمصر دار المعارف ، ص/14

[27] ــ المرجع نفسه 96

وانطلاقا مما سبق، فالشاعر في القصيدة المدروسة يتمتع بدقة التعبير وجمال الأسلوب، في توضيح المعاني. وقد استخدم أسلوبا تقليديا في الشعر العربي، مع استخدام الوزن والقافية مما يدل على التزامه بالقواعد الشعرية التقليدية.

الخيال ورسم الصور:

الخيال له مقامه المرموق في بناء الشعر الجيد لما فيه من قوة الخلق والإحياء في التصوير وتوظيف المعاني. و" لغة الخيال هي الصور على اختلافها، وخصوصا التشابه والاستعارات والتشخيصات والكنايات. ومن صفات الصور الأدبية الناجحة : الجدة والابتكار والجرأة والسمو والترابط."[28] والخيال الشعري يكمن في خلق صور ذهنية أو مشاهد تخيلية في ذهن المتلقي. ورسم الصور يتم عن طريق استخدام التشبيهات والاستعارات والكنايات. كما أن التفاعل بين الخيال ورسم الصور يساهم في جعل القصيدة أكثر إثارة وتأثيرا، حيث يمكن المتلقي أن يتخيل المشاهد والأحداث الموصوفة. وعن طريق الاستعانة بالخيال والتخيل يمكن للشاعر أن يصور ويصف العالم بطريقة فريدة ومثيرة للاهتمام، وأن يعبر عن الأفكار والمشاعر المكنونة في داخله بأسلوب جذّاب وجميل.

وبناء على ما تقدم، استخدم المنذوي تشبيهات، منها قوله: "طرقها تلتوي مثل الأفاعي" و "كأنها الفيل أو فهد من الكبر" وفي قوله: "كأن الكوثرى نبعت". كما اتكأ على الاستعارة، في قوله: "تطير إلى الثمر"، والكناية: "مثل وصف الجبال بالثروة المخفية.. فهذا الرسم خلق مشاهد تخيلية جميلة. فوصف الجبال بأنها "حوت فيها الذهب والنحاس والأسمنت.." ووصف الطريقة بأنها "تلتوي" ووصف الطيور بأنها تطير من فوق أشجار إلى الثمر". فاستخدام الشاعر الطبيعة للتعبير عن المشاعر الإنسانية يخلق صورة شعرية حية في ذهن المتلقي وتجعله يشعر كأنه يعيش التجربة بنفسه. كما أن الأساليب البلاغية التي اتكأ عليها تعزز الطابع الفني للقصيدة مما جعلها تتصف بالوضوح والدقة في الوصف والتصوير بحيث يمكن للمتلقي أن يتخيل المشاهد بوضوح. كما تتسم بالإبتكار والإبداع في استخدام التشبيهات والاستعارات والكنايات مما أضفى على القصيدة جمالا وتميزا.

العاطفة والإيقاع:

---

[28] ــ سليم نائف تكد، وعبد الأمير مكي ، **المفيد في القراءة والأدب** للسنة المتوسطة الرابعة مطبعة بدران شارع السور ساحة الرياض الصلح، ج/4، ص97

العاطفة "هي استعداد الشعور بتجربة وجدانية خاصة، والقيام بسلوك معيّن إزاء شيء أو شخص أو جماعة أو فكرة مجردة، كعاطفة الحب والكره ، وبرغم أنها وجدانية أساسا فإنها لا تخلو من عوامل فكرية." [29] فالعااطفة القوية الصادقة هي التي تجعل الشعر نابضا بالحياة، وهي بمنزلة الروح من الجسد، فيها يسمو الشعر ويخلد. وعلى ذلك قال أحد النقاد: " العاطفة الصادقة تضفي مزيدا من الروعة والجمال على العمل الأدبي، ويقصد بصدق العاطفة إخلاص الأديب في وصف المشاعر التي عاشها وعلى الصورة التي وقعت له."[30]

ومن ثم تعد العاطفة من عناصر الأدب العربي المهمة، وأهميتها في الشعر كبيرة، حيث إن النص الشعري الجامد لا يحرك المشاعر ولايبعث في نفس القارئ نشاطا، بل يجعل نفسه تحمل شيئا من الملل، ولا يترك في نفسه أثرا يذكر في داخل قلبه ولا في خارجه، ولا يبعد حتى ينسى ما قرأ، لأن تحريك المشاعر من النص الشعري؛ سواء كان شعور فرح أو حزن ـ أو نشاط أو انكماش، أو شعور خوف وقلق، يخلد الذكر لدى القارئ أو المتلقي.

فعاطفة المنذوي في النص تعكس مشاعر الفخر والاعتزاز بالطبيعة والهوية النيجيرية والعربية الإسلامية، كما تتصف بالهدوء والسكينة تارة، وبالدهشة والإعجاب حينا، وبالذعر والخوف تارة أخرى. وجاء الإيقاع في الوزن والقافية، متناسقا مع العاطفة ليعزز التأثير العاطفي للقصيدة.

أما الإيقاع، فيتمثل في الوزن الشعري وموسيقاه، وهما يسهمان في تحديد جمالية الشعر وموسيقاه الداخلية؛ فالوزن يشير إلى التوزيع المنهجي للمقاطع الصوتية في كل بيت شعري، بينما الإيقاع يشير إلى النمط الموسيقي العام للقصيدة. والتفاعل بين الوزن والإيقاع يعزز تأثير القصيدة وجاذبيتها. وقد اختار الشاعر وزن البسيط لهذه القصيدة، ذلك البحر الذي يمتاز بجزالة موسيقاه، ودقة إيقاعه.[31] أما القافية فهي مطلقة، وقد رتب بعض العلماء جمال القافية الموسيقي بشكل تصاعدي، فذهب إلى أن القافية المقيدة التي لا يلتزم فيها الشاعر حركة توجيه ثابتة هي أقل القوافي موسيقية.. وتليها في السلم: القافية المقيدة الخالية من سناد

---

[29] ـ مجمع اللغة العربية : **المعجم الفلسفي**، عالم الكتب، ط 1،القاهرة ، 1979م، ص110

[30] ـ أبوبكر محمد أول (الدكتور) : "صور من مبادئ التقويم عند محمد النويهي"، **مجلة دراسات عربية**، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، العدد الأول، أكتوبر- 2001م، ص:184

[31] -إميل بديع يعقوب (الدكتور) **المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر**، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1991م، ص:74

التوجيه، وأعلى منها القافية المقيدة المردفة بواو، أو بياء أو بكليهما على التناوب، أو القافية المؤسسة. وأعلى من هذه القافية المطلقة غير المردفة.[32]

وبناء على ما سبق، هناك تناسق جيد بين اللغة والأسلوب والعاطفة والإيقاع والخيال في القصيدة المدروسة؛ فالقصيدة تثير مشاعر الإعجاب بالطبيعة والفخر بالهوية النيجيرية والعربية الإسلامية، كما تعكس مشاعر الشاعر بشكل صادق، وتظهر عمقه في التفكير والشعور.

وبالجملة يمكن القول بأن القصيدة تعد نموذجا جيدا لشعر الوصف، حيث تمتاز بالوضوح والدقة والابتكار والتناسق بين العناصر وإثارة مشاعر معينة في المتلقي. وهذا يدل على أن الشاعر موفق في وصفه للطبيعة.

الخاتمة:

يظهر المنذوي من خلال الأبيات أنه مبدع قادر على تقصي مظاهر الطبيعة والبحث عن جزئياتها لبعث الحياة والحركة فيها مع المزج بين عناصرها. وقد تدخلت عناصر الصورة عنده بعضها مخيف وبعضها مطرب، ووسيلته في ذلك استعمال بعض ألوان البيان من تشبيه واستعارة وكناية، وهذا التوظيف يدل على خصب الخيال وسموه وسعته وعمقه عند الشاعر. وتوصل الباحث إلى نتائج منها:

1- يؤكد المنذوي في هذه القصيدة أن الطبيعة رمز للهوية، وذلك من خلال وصف الجبال والمياه، والأشجار، والطيور، والفتيات.

[32] - المرجع نفسه، ص:372-373

2- يعزز الشاعر انتماءه لنيجيريا والتراث الإسلامي.

3- تثبت اللغة العربية قدرتها على التعبير عن تجارب متنوعة، مما يدعم فكرة المؤتمر بأن الأزمة ليست في اللغة.

الهوامش والمراجع: